# الفصل الأول

## مصر أرض الكنانه « أم الدنيا » قبل وبعد

## والتى استمد منها مبارك أصالته

obeikandl.com

obeikandl.com

- الموقع والتاريخ .

- أرض الكنانه .. ماذا تعنى ؟ .

- القوة الكامنة فى حياة وتاريخ وحضارة مصرنا أتعرف سِرُّها ؟ .

- النيل والإنسان المصرى وحضارة أرض الكنانة .

- هل كانت الحضارة المصرية زراعية أم حضارة شاملة للحياة ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

# أرض الكنانة مصر.. أم الدنيا قبل.. وبعد

## الموقع ... والتاريخ

مصر أم الدنيا .. هذه المقولة لا نقولها إفتخاراً ومباهاة فقط بل هى حقيقة تاريخية .

فقد حبى الله مصر موقعاً فريداً دون سائر الأمم وتاريخاً مديداً ممتداً بتاريخ البشرية .

فهى مهد الحضارات ومهبط الديانات ومعبر ومسار للأنبياء والرسل فهيا بنا سوياً نعبر بكم « مصر » كنانة الله فى أرضه موقعاً وتاريخاً .. حتى نصل لعصرنا الحالى الذى نعيش فيه .

## أرض الكِنانة .. ماذا تعنى ؟ (١)

فهى الأرض ( المكنونة ) والتى صانها الله وحفظها فى قلب الصحراء .

و « الكنان » لغةً هو ما يستر الشىء ويقيه من جوانبه . و ( الكنانة ) هى ( الجعبة ) الصغيرة من الجلد تحفظ فيها عيدان النصال أو النبال ( وهى تحمل على الكتف عادة ) لتطلق منها عند الحاجة بالقوس .

ولقد أطلِق عليها هذا الاسم أو هذه التسمية لأنها كانت بالفعل مكنونة بين الصحارى المجاورة وكان واديها محفوظاً بحافتى الهضبة التى إمتازت بأنها أرض قاحلة شديدة الجفاف بحيث لا يستطيع أن يقطعها الغزاه القادمون

(١) د. سليمان حزين . حضارة مصر ، إصدارات مكتبة الأسرة ص ١٩، ٢٠ .

من الخارج إلا فى صعوبة شديدة ولا ينفذ منها إلا كل مغامر قوى الشكيمة وقادر أن يجتاز الفيافى « الصحارى » حتى يصل إلى الأرض المكنونة أو إلى « الكِّن » الذى احتفظ فى سكانه بخلاصه المغامرين .

فكأن الصحارى كانت بالنسبة لمصر ووادى النيل الأدنى بمثابة « المصفاة » التى لا تنفذ منها العناصر المهاجرة إلا بأعداد صغيرة وهى عناصر قادرة ومنتقاه تستطيع الكنانة أن تستوعبها حتى إذا ما وصلت هذه العناصر إلى أرض النيل الصالحة للزراعة إستقرت فوقها وصبغتها البيئة بصبغة من اليسر والنعيم . وهذه العناصر إحتفظت فى نفسها « بروح المغامرة المتوارثة » فبقيت تلك الروح كامنة حتى إذا ما « استُفِزَّت » هذه العناصر بشىء من العدوان أو الغزو الأجنبى ( كما حدث أيام الهكسوس أو محاولات الغزو الحديث فى أيامنا المعاصرة ) خرجت هذه العناصر من أهل الكنانة فى اندفاع وحركة « خروج » إلى ما وراء الصحراء . فإذا ما وجدت « القيادة » القويمة الصالحة فإنها تكون كالسهام أو النبال تنطلق من جعبتها ومكمنها وتحمل معها القوة التى ترد العدو كما تحمل بين جنبيها فى الوقت ذاته السلوك المتحضر والنفس المثقفة والعقل الذى يُشّع بالنور واليد التى تحمل مشاعل الفكر والفن والمدنية والحضارة .

## القوة الكامنة فى حياة وتاريخ وحضارة مصرنا .. أتعرف سرُها ؟

عبر التاريخ الطويل مرَّت مصر بفترات إزدهار كما مرَّت بفترات إنكسار قليلة لا تلبث أن تعود لتمارس دورها الرائد كما رسمه الله لها بعكس أمم ودول أخرى إذا مرَّت بفترة من التدهور مرة قد لا تعود لإزدهارها مرة أخرى بل قد

تتلاشى أيوجد سر فى ذلك ؟ نعم يوجد . ألا وهو « الإنسان المصرى » أما شرح وتفسير ذلك فيأتى فى سياق السطور التالية من كتاب حضارة مصر للدكتور سليمان حزين فيقول :

( جرى العرف بين الجغرافيين أن يكون الفضل الأول فى قوة مصر « لنهر النيل العظيم » حتى إن « هيرودوت » عندما زار مصر فى القرن الخامس ق . م « قبل الميلاد » بهره النهر العظيم الذى يفيض بالخير كل عام والذى وهب مصر تربتها ونبع حياتها فقال قولته المشهورة :-

« **إن مصر هبة النيل** » ). (١)

إن فضل التكوين الأول للتراب المصرى مصدره الطبيعى نهر النيل العظيم ولكن إعداد هذا التراب وهذه الأرض وتهيئتها لأن تكون بيئة صالحة لقيام الحضارة البشرية التى نعرفها ثم استغلال تلك البيئة واستدرار خيرها والحفاظ عليها وتنميتها على مر الزمن كان ذلك من عمل « الإنسان المصرى »

## النيل والإنسان المصرى وحضارة أرض الكنانة...

إن نهر النيل « كظاهرة طبيعية » كان له الفضل الأسبق فى تمهيد مجراه عبر النطاق الصحراوى إلى البحر المتوسط فهو قد حفر المجرى فى القسم الأخير مما نسميه « الزمن الجيولوجى الثالث » ثم بدأ يردم هذا الوادى المحفور بالتدريج ، فملأ قاعة وبعض جوانبه بطبقات من الحصى والحصداء والرمال الخشنة . وفى خلال الزمن « الجيولوجى الرابع » كانت روافده الحبشية قد بدأت تتجه بمياهها نحو الشمال وتبلغ الوادى الأدنى « جنوب الصعيد »

(١) د .سليمان حزين . المرجع السابق ص ٢٢ ، ٢٣

لتلقى على سطح قاعه الرملى والحصوى بطبقة من الطمى الحبشى المعروف وخلال هذه الحقبة كان الإنسان يعيش على سطح الهضاب المحيطة بالوادى الأدنى فى العصر الذى نعرفه « بالعصر الحجرى القديم » أى قبل أن يعرف الإنسان الزراعة والاستقرار . وعندما جاءت البدايات الأولى . للعصر الحجرى الحديث « عصر الزراعة » كان طبيعياً أن يستقر الإنسان أول ما يستقر على الحافة الخارجية للوادى والدلتا أى بين الصحراء التى كان قد بدأ يصيبها الجفاف التدريجى ( بعد نهاية العصر المطير ) وبين داخلية الوادى والدلتا التى كانت لا يزال تغطيها المستنقعات ويمكن تقريبياً أن نحدد هذه الفترة الانتقالية بين حوالى ( ٨٠٠٠ ق م ) وبين حوالى ( ٥٥٠٠ ق . م ) خلالها كان النيل نهراً عاتياً يفيض فى مجراه وعلى القاع بغير إنتظام ويَحَوِّل مجراه أو مجاريه من جانب إلى آخر على غير هدى ، ويجرف التربة ثم يرسبها بغير إنتظام أيضاً وتغطى المجارى المائية والبحيرات والبرارى . معظم قاعه خلال جزء كبير من العام بحيث لا يصلح القاع لغير حياة صيد الماء أو جمع الثمار والالتقاط فى فترة إنخفاض الفيضان .

ثم جاءت فترة تالية بين (٦٠٠٠ ق . م – ٤٠٠٠ ق . م) وهى الفترة التى ينسب بعضها إلى ما نسميه العصر الحجرى الحديث « عصر الزراعة » (١) وينسب أغلب هذه الفترة بعصر ( ما قبل الأسرات الفرعونية ) الأول والأوسط

---

(١) د. سليمان حزين . المرجع السابق.

والمتأخر . وفى هذه الفترة بدأ الإنسان ينزل بالتدريج إلى قاع الوادى وبعض جهات الدلتا وكان يتخير المواقع العالية نسبياً والتى تقع فوق مستوى الفيضان وكان استقراره مؤقت وغير دائم فهو يحاول أن يستعمر بعض المناطق فى جوانب الوادى وأطراف الدلتا ولكنه لا يجرؤ تماماً على مغالبة النهر الجامح والذى يهدد فيضانه الحياه على ضفتى النهر كل سنة .

وبدأت بعض جماعات الإنسان المصرى بالتدريج تقيم بعض « الكومات » الصناعية من أتربة الأرض فوق البقاع العالية حتى يقيم قُراه فوقها« ألا يسمى جنوب مصر مصر العليا لارتفاع أرضه عن الدلتا ؟ » أو أن يستقر فى بعض الجهات قرب مجرى النهر إذا نجح فى إقامة بعض الجسور من حولها ليتحكم فى جريان مياه الفيضان « ألم يدعو سيدنا نوح لولد ولده « مصر » بأن يسِّخر الله له الأرض التى ينزل فيها ؟ » ويبدو أيضاً أن بعض الجماعات البشرية المتجاورة بدأت تحاول أن تقيم الجسور الطولية والعرضية لتقسِّم قاع الوادى إلى « حيضان » « أحواض » تجرى المياه إليها عن طريق قنوات محفورة وتصرف منها إلى مجرى النهر ثانية عند النهاية الشمالية لكل مجموعة من الحيضان ، بعد أن تكون قد أرسبت ما فيها من « طمى » الفيضان وخرجت بالمياه الرائقة إلى مجرى النهر من جديد .

وعلى هذا النحو بدأ الإنسان المصرى فى « عصر ما قبل الأسرات » الفرعونية » بكفاحه الدءوب المتصل والمنظم فى صورة تعاونية متكاملة كما سبق

ذكره يقيم أسباب الحياة المستقرة والحضارة الزراعية التى نعرفها عن «أرض الكنانة » . وعلى ذلك فإنه لولا أن الإنسان المصرى كبح جماح النهر وألجمه لما قامت مصر بصورتها التى مهدت لقيام الحضارة واستمرار التاريخ .

من هنا يمكن القول بأن مصر الحضارة ليست هبة النيل بقدر ما هى « هبة جهاد الإنسان المصرى فى بيئة صالحة » .

فالزراعة المصرية منذ بدايتها لم تكن زراعة بدائية تعتمد على الأمطار ويكون فيها المطر المتساقط هو العامل الأساسى فى رعاية النبات وتغذيته وإنما كانت « زراعة هندسية » تعتمد على تنظيم مجرى النهر .

فهى زراعة حضارية أو صناعية برزت فيها براعة الإنسان فى أن يستنبت الزرع ويرعى الضرع ويقيم المدنية والحضارة ..

وقد اكتملت الحضارة الزراعية التى أقامها الإنسان المصرى فوق أرض الكنانة مع إنبلاج فجر التاريخ وقيام عهد الأسرات الفرعونية والوحدة الشاملة بين الصعيد والدلتا .

## هل كانت الحضارة المصرية زراعية أم حضارة شاملة للحياة ؟

ولقد كانت الحضارة المصرية التى أقامها إنسان مصر حضارة شاملة للحياة .

فهناك « الزراعة المهندسة » والتى تركزت فى محاصيل الشتاء ولكنها لم تلبث أن شملت بعض محاصيل الصيف من الخضر والفاكهة وهى زراعة عرف

أصحابها فنون الهندسة المائية ثم إنتقلوا بالتدريج خلال العصور إلى تقسيم السنة إلى فصول زراعية للمحاصيل هى ما أصبحنا نسميه فيما بعد الفصل « النيلى » ( مع الفيضان ) والفصل « الشتوى » ويبدأ فى الخريف ثم الفصل « الصيفى » ويبدأ فى « الربيع » ... وأيضاً قسَّم الزارع المصرى السنة إلى إثنتى عشرة شهراً وعرف مواقع بعض النجوم ومطالعها وعرف « التقويم » بمعناه التاريخى ثم تفنن فى معرفة ميول الأرض ومسارات المياه ثم توسَّع فى إقامة القرى لسكنى الأحياء فى الوادى ثم تدرَّج إلى إقامة مدن الموتى والمعابد والمقابر على حافة الوادى وفى الصحراء كما تدرج فى الفنون التطبيقية والنظرية وإنشاء الأهرام والمقابر للموتى والقلاع للدفاع عن مداخل الوادى والدلتا .

كما وصل إلى البحار وركبها إلى أبعد الأرض وعرف الرياح وسخرها من أجل سير المراكب الشراعية على صفحة النيل أو فى البحر فيما بعد .

ثم إنتقل إلى تنظيم حياته اليومية وإقامة أسباب المدنية المادية من جهة والثقافة الدينية والروحية من جهة أخرى والنظم الاجتماعية التى تبنى حياة المجتمع والنظم الإدارية والسياسية التى مهدت للوحدة آخر الأمر من جهة ثالثة وبذلك كله تكاملت حضارته المصرية التى كانت أولى الحضارات المستقرة والموَحَدَّة والتى جمعت كل أسباب المدنية المادية والثقافية والروحية وبهما معاً تكتمل أسباب الحضارة بمعناها الإنسانى الكامل الصحيح ».

فكل ذلك عزيزى القارىء كان من عمل وكفاح الإنسان المصرى .